# الاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير الفلسطينية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٣)

د. نبيل حيدري

ثمّة ضرورة لربط ثلاثة عوامل مميزة، برزت في سياق العلاقات السوفياتية ـ الفلسطينية، بمنظور واحد يتيح، قدر المستطاع، تلمّس وضع الاتحاد السوفياتي في النظام الاقليمي الشرق اوسطي بمجمله: العامل الاول هو ما اظهره الدعم السوفياتي لقرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢ من مسافة تفصل بين الطموحات الوطنية الفلسطينية والتوجهات السوفياتية، ذلك ان دعم قرار ترفضه حركة المقاومة الفلسطينية يعني، بالضرورة، تجاهل هذه الحركة. والعامل الثاني هو شجب الكرملين، بشدة، الشعار الداعي الى تدمير اسرائيل، وتشديده، فقط، على النضال ضد عنصرية الدولة العبرية، وضد سلوكها الرجعي، وطبيعتها الاستعمارية. وكان الموقف السوفياتي، في هذا الشأن، يتبنّى الصيغة النموذجية للتسوية، وهي الحاجة الى ضمان استقلال كل دول المنطقة، واسرائيل هي احدى تلك الدول. وبمعنى آخر، ان معارضة الاتحاد السوفياتي لشعار تدمير اسرائيل هي مسألة مبدأ، وان تحبيذه لوجود دولة اسرائيل هو ادراكه العميق ان الاخيرة حقيقة قائمة، وان اي تهديد لوجودها سوف يستدعي تدخلاً اميركياً، يجرّ معه كل ما يمكن من ذيول، بما في ذلك التهديد بالمواجهة الشاملة بين القوتين العظميين. أمّا العامل الثالث، فهو ان الاتحاد السوفياتي لم يكن قد حدّد، بعد، بدقة، مستقبل النضال الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة. واذا ما وصل الكرملين الى تأييد فكرة اقامة الدولة الفلسطينية في العام ١٩٧٤، والاعتراف الحذر بدور منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، فان ثمة التباسات عدّة بقيت قائمة، منها مسألة الحدود: هل هي حدود العام ١٩٦٧؟ ام حدود العام ١٩٤٧، المبيّنة في مشروع التقسيم؟

على هذا الاساس سوف نعمل، في سياق الرصد والتحليل، على تسليط القدر الكافي من الضوء على الطابع الاساس للمظاهر الكامنة في هذه العوامل الثلاثة. لذلك يبدو من الضروري ان نحاول، اولاً، التمسّك، على نحو ما، بالطابع التاريخي للعلاقة بين الطرفين، على ان نقارب، فيما بعد، امكانات تطور الوضع القائم بين دولة عظمى ازداد نفوذها الدولي بشكل كبير، وبين فاعل ليس دولة بل حركة تحرر منظمة تلعب دوراً ذا شأن على الساحة الشرق اوسطية، ممّا يتيح لنا، في الواقع، ان نكمّل، بل وان نصوّب، مراحل تلك العلاقة.

لا ريب في ان ثمة معطى جوهرياً في المعتقد الايديولوجي السوفياتي يكتسب الاعتماد عليه بعض الاهمية. ذلك ان المشكلة الجوهرية التي كانت بادية للعيان في علاقات الاتحاد السوفياتي بمنظمة التحرير الفلسطينية، هو تصور السوفيات وجود عناصر متطرفة ذات ميول صينية فيها، وميلها